



عزيز الماج

قضايانا القومية في مؤتمر الأمم المتحدة الثامن عشر

- ١ -

دور المنظمات الدولية الحكومية

انشئت هيئة الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة على اثر انتهاء الحرب العالمية الثانية بالانتصار على الفاشية والوعود الدولية بحلول عهد جديد في تاريخ البشرية . وقد اقيمت الامم المتحدة بوصفها الهيئة السياسية الدولية العليا لضبط وتنظيم العلاقات بين الدول، والحفاظ على السلام العالمي ، بينما تأسست الاونيسكو في لندن في نوفمبر ١٩٤٥ لتسجل في ميثاقها التأسيسي بان الدول الموقعة على الميثاق :

« اذ تعتزم تأمين فرص التعليم تامينا كاملا متكافئا لجميع الناس، وضمان حرية الانصراف الى الحقيقة الموضوعية والتبادل الحر للافكار والمعارف ، تقرر تنمية العلاقات ومضاعفتها بين الشعوب تحقيقا لتفاهم افضل بينها ولوقوف كل شعب منها بصورة ادق واصدق على عادات الشعوب الاخرى .

« وبناء على ذلك ، تنشئ الدول بموجب هذا الميثاق منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة ، لكي تسمى ، من طريق تعاون اسم العالم في ميادين التربية والعلم والثقافة ، الى بلوغ اهداف السلم الدولي ، وتحقيق الصالح المشترك للجنس البشري ، وهي الاهداف التي انشئت من اجلها منظمة الامم المتحدة والتي ينادي بها ميثاقها » .
وردد في البند الاول من المادة الاولى من الميثاق المذكور :

« تستهدف المنظمة المساهمة في صون السلم والامن بالعمل عن طريق التربية والعلم والثقافة على توثيق عرى التعاون بين الامم ، لضمان الاحترام الشامل للمدالة والقانون وحقوق الانسان والحرريات الاساسية لكافة الناس دون تمييز بسبب العنصر او الجنس او اللغة او الدين كما اقراها ميثاق الامم المتحدة لسائر الشعوب . »

واذن فان الاونيسكو نشأت في الاساس لتخدم اهدافا سياسية وانسانية عليا ، من طريق التعاون الدولي المتكافئ في مجالات التربية والعلم والثقافة والاعلام ، ولذلك كان المفترض منذ البداية ان تكون اهداف صيانة سلم عادل مديد ، في العالم ، ومكافحة الاستعمار والمنعوية ، واحترام حقوق الانسان ، في المقدمة من بين الاهداف الاساسية للاونيسكو ، برغم ان الاشكال والاساليب والاطر التي يمكن ان تسلكها او تتبناها لخدمة هذه الاهداف قد تختلف عما يجري في الامم المتحدة .

غير ان قيام الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة (والاونيسكو على رأسها) والمواثيق والشعارات والوعود النبيلة لم تستطع بحد ذاتها

ان تخلق في العالم علاقات دولية جديدة اساسها المساواة والحرية والعدالة . فسرعان ما اخذت الامبريالية الاميركية تستغل مركز الافضلية الذي تمتعت به بفضل الحرب الثانية ، واحتكارها الذري ، وتسي بسط سيطرتها على الشعوب ، وبدأت بانتهاج سياسة الحرب الباردة وحافة الحرب الساخنة ، وكانت الدول الاستعمارية الاخرى تحاول بكل الوسائل الحفاظ على مستعمراتها وتوابعها . حقا ان ميزان القوى العالمي كان قد تغير نحو الافضل بفضل انتصار الثورات الشعبية في الصين وغيرها ، وقيام منظومة اشتراكية كبرى ، ونجاحات حركات التحرر الوطني . غير ان القوى الامبريالية والعدوانية ، بقيادة الولايات المتحدة الاميركية ، ظلت تفرض بصماتها ومناوراتها وحروبها العدوانية على مسرح العلاقات الدولية ، وهذا مما كان ينعكس على موازين القوى داخل الامم المتحدة والاونيسكو ، وبالتالي على قرارات وممارسات هاتين الهيأتين الدوليتين . او لم تتم الجريمة التاريخية الفظيعة بتقسيم فلسطين في الامم المتحدة وعن طريقها (طبعا ساعد هنا سوء تقدير بعض القوى الدولية الصديقة والمواقف والسياسات المهلكة للانظمة العربية وقتذاك) ؟

الم تستطع الولايات المتحدة ان تتدخل عسكريا في كوريا عام

١٩٥٠ تحت راية الامم المتحدة بالذات ؟

اما بالنسبة للاونيسكو فان نشاطها العام القالب كان فنيا محضاً تقريبا ، وكانت الدول الغربية هي ذات الوزن المؤثر والاول ، وكانت انماط المثل والافكار والثقافات والتربية البرجوازية - الغربية - هي الاكثر رواجاً وانتشاراً ففي السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية كانت غالبية الدول المتنامية مستعمرات مباشرة او اشباه مستعمرات ومنها بالطبع اغلب الدول العربية . كما ان الدول الاشتراكية لم تكن كلها عضوة في الاونيسكو ، ولا هي ذات وزن فعال فيها . اما حركات التحرر الوطني فلم تكن الاونيسكو لتمنى بالاتصالات الجدي اليها والقامة اي شكل من العلاقات او الصلات معها .

غير انه منذ العقد الثاني الذي تلا نهاية الحرب شرعت بالتبلور والبروز والنمو ظواهر جديدة على المسرح الدولي ، وعلاقات قوى جديدة . فقد انكسر الاحتكار الذري الاميركي ، وازداد وزن وقوة الدول الاشتراكية ، ونهضت حركات التحرر الوطني بخطوات جبارة الى امام ولا سيما في الوطن العربي . فبعد الثورة المصرية انتشرت ارادة النضال العربي على الصوان الثلاثي لعام ١٩٥٦ ، واندلمت ثورة الجزائر وانتشرت ، وحطم شعب العراق حصن الملكية العميلة واغلال حلف

الهيئات هو للولايات المتحدة وشركائها وتوابعها . فالتفسيرات الدولية العميقة التي جرت في العالم ، قد عكست نفسها تدريجياً على عمل ونشاط هذه الهيئات ، حتى أصبح للقوى التحررية الدور الراجح فيها . وهو ما أصبحت الدوائر الأميركية والصهيونية تسميه «بالاكتيرية الآلية» وما هي باكتيرية «آلية» بل انها انعكاس لاوزين القوى الدولية في يومنا هذا .

٢ - لقد كان عام ١٩٧٤ عام فلسطين في الهيئات الدولية ولا سيما في الامم المتحدة والائيسكو . ونود الاشارة هنا الى ان ثمة منطلقين اساسيين مختلفين في فهم الموضوع وتقديره ، والاهداف المتوخاة من وراء طرح القضية على الامم المتحدة (ووكالاتها) . فهناك المنطق الذي يفهم من ذلك كله أحد السبل المؤدية الى تسوية ما جزئية للقضية الفلسطينية وللصراع العربي - الاسرائيلي ، وهناك المنطق السبذي يستهدف تعزيز وتوسيع البعد الدولي للقضية الفلسطينية ، ووضع هذا البعد (وكل نشاط دبلوماسي واعلامي) في خدمة الكفاح الثوري المائل للشعب الفلسطيني وللأمة العربية والذي يجب ان ينتهي بانتصار حاسم ومتكامل مهما طال الطريق وفدحت التضحيات .

٣ - وبالنسبة للائيسكو ، وبالإضافة الى التقديرات الخاطئة التي حذرنا منها اعلاه (نالنظر اليها بمعايير ما قبل عشرين عاماً) ، توجد أفكار وتقديرات اخذت الدوائر الأميركية والصهيونية تقديرياً في السنوات القليلة الماضية ومؤداها ان الاونيسكو منظمة ذات طابع فني بحث ولا يجب ان تتناول السياسة بأي شكل من الاشكال . والمؤسف ان بعض العرب يقعون احياناً ضحية لهذه التقديرات الخاطئة والصار . ان ما تسميه الدوائر الاميرالية والصهيونية بـ « تسييس » الاونيسكو ليس الا ستاراً من دخان لاختفاء حقيقة نشاط واهداف هذه الدوائر داخل المنظمة الدولية المذكورة ، ومحاولة جديدة للتصدي لارادة الخير منها ، ولعرقلة المنظمة من اداء مهماتها الانسانية والحضارية الكبرى . وكما رأينا فان ابرز الاهداف المسطرة للائيسكو ذات علاقة وثيقة بقضايا العمل من اجل سلام عالمي عادل والدفاع عن حرية الشعوب ، وضد الاستعمار ، والعنصرية والفاشية وفي سبيل احترام حقوق الانسان والمساواة بين الشعوب في ظل العدالة . هذا اولاً .

وثانياً ، ليس في عصرنا حدود اعتبارية عازلة بين السياسة وغير السياسة . في عصرنا أصبحت السياسة تدخل حتى الماء الذي نشرب والهواء الذي نستنشق .

وثالثاً ، ان الاوساط الاميرالية هي التي كانت تقحم السياسة في الاونيسكو باستمرار ، ونحاول تسخير البرامج الثقافية والتربوية لاهداف سياسية معلومة . كما انها كانت المسؤولة عن ابعاد الصين الشعبية والمانيا الديمقراطية وكوريا الشعبية وحركات التحرر الافريقية وغيرها عن عضوية المنظمة ، وذلك لاسباب سياسية وليس لاسباب ثقافية او « فنية » . . وفي كل مرة تجد الولايات المتحدة وتابعها الكيان الصهيوني ان احد القرارات الاونيسكوية لا تروق لهما ، فانهما يشعلان باطلاق الضجيج والزعيق حول ما يدعى بـ « تسييس الاونيسكو » ومخاطر هذا « الانحراف » الزعوم ، يرائق ذلك كله الوعيد والتهديد .

* * *

- ٢ -

مع المؤتمر العام الثامن عشر للاونيسكو

افتتح المؤتمر العام الثامن عشر يوم ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤ وانتهت اعماله مساء ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي . ويمكن القول ان المؤتمر المذكور كان احد اهم مؤتمرات الاونيسكو

بغداد . وبمبدا بمبدا انتحرت كوبا . واما في افريقيا فقد شهدت سنوات ما بعد ١٩٦٠ نجاحات باهرة لحركات التحرر الوطني فيها ، وبرزت في القارة السوداء دول مستقلة ومنتامية . . . هذه النجاحات والانتصارات تمت وسط عراقيل وصعوبات كبيرة ، ورافقتها انتكاسات وتراجعات هنا وهناك لصالح القوى الامبريالية والرجعية . ولكن الخط البياني الغالب كان لصالح القوى المحبة للحرية والمناضلة ضد الاستعمار . وبجانب هذا التيار التحرري والثوري العام ، برزت ظواهر دولية هامة اخرى ، على رأسها سياسة الوفاق بين الدولتين الاعظم ، والصراع السوفياتي - الصيني المؤسف .

وقد وجدت جميع هذه الظواهر الدولية الجديدة انعكاساتها المختلفة وبدرجات متفاوتة على نشاط وممارسات الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة ولا سيما الاونيسكو . كان لبعض هذه الظواهر انعكاسات سلبية ، غير ان الرجحان كان لكافة الظواهر الايجابية وانعكاساتها المؤثرة باتجاه زيادة وتعميق التأثيرات التحررية والتقدمية في أنشطة هذه الهيئات ورجحان كفة القوى المناضلة فيها وتطوير تركيبها، وشمولية تمثيلها الدولي . . . اما بالنسبة للوزن العربي في الهيئات الدولية الحكومية ، ومنها الاونيسكو ، فقد ازداد ثقلاً وتأثيراً مع اندلاع حرب اكتوبر العربية - الاسرائيلية برغم وجهات النظر او التأخذ على كفاءة ادارتها وعلى طريقة استخدام السلاح البترولي خلالها وبعدها .

* * *

ففي ظل هذه الاوضاع والظروف الدولية الجديدة ذات الانعكاس على الامم المتحدة والائيسكو اصبح بالامكان اتخاذ قرارات دولية سليمة وصحية لصالح قضايانا القومية ولا سيما القضية الفلسطينية . وهنا نود التأكيد على الحقائق التالية :

١ - ان افضل القرارات التي تصدرها هذه الهيئات الدولية لن تعني بحد ذاتها وبمعزل عن التطبيق شيئاً خطيراً ذا حسم . انها قد تكون ذات قيمة معنوية وسياسية انسانية هامة ، غير ان ما هو اهم والذي يشكل المفزى الاخير ، هو ترجمة هذه القرارات الى حيز التنفيذ . وهذا ما تعرقله في العادة الولايات المتحدة والسائرون في ركابها ، او قد يجري مسخ القرارات الجيدة والتحايل عليها وتجريدها من روحها . ولدنيا - وهذا هو المثال الصارخ - سلسلة من القرارات الصادرة عن الامم المتحدة ومجلس الامن والائيسكو عن القدس ، واستمرار الكيان الصهيوني بخرق هذه القرارات ، وتحديدها ، وعصيانها مندوماً في ذلك بالقوة الاميركية الفاشمة .

اننا لسنا ممن يعلقون الالهام على الهيئات الدولية او يعتبرون قراراتها غاية بحد ذاتها ، او ان طريق الامم المتحدة هو السبيل الاوحد لنيل الحرية والحقوق الفاضحة ، اذ ان حقوق العرب في فلسطين لا تسترد الا بالكفاح الفلسطيني العربي ، مهما كان طويلاً وشاقاً .

الا اننا من الجهة الثانية لا نلغي دور الهيئات الدولية ، ولا نقل من اهميتها على الصعيد السياسية والدبلوماسية والمعنوية والسيكولوجية . وان للقرارات الجيدة التي تصدر عن هذه الهيئات مفعولها الذي لا ينكر في تنوير الراي العام الدولي والخير وتعبئته لتأييد قضايانا القومية وسائر القضايا التحررية . . . وان العمل الدبلوماسي والاعلامي ، له بالتأكيد دوره وتأثيره الايجابي اذا ما مورس بالشكل الصحيح واذا ما وضع في خدمة الاهداف القومية وفي خدمة الكفاح التحرري - القومي نحو هذه الاهداف . فللعمل في الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة فوائده وتأثيراته الايجابية ، التي لا يجب ان ننكر ، وبالتالي ينبغي تعزيز وتنشيط وتطوير الوجود والعمل العربيين فيها ، وبمثل الجهود البرمجة والمثابرة لاستثمار منابرها وامكاناتها لخدمة قضايانا القومية العليا بشكل او اخر . . . وانه لمن الخطأ الفادح ان ينظر الى الامم المتحدة والائيسكو نظرة اوضاع عام ١٩٥٠ حيث كان الدور الراجح في هذه

واكثرها حيوية وكذلك تفقيدا .

وبالإضافة الى القرارات الخاصة بتوسيع استعمال اللغة العربية في الاونيسكو وتبني مشروع جيد لدراسة الثقافة العربية ، ناقش المؤتمر عدة قضايا ذات طابع سياسي تخص البلاد العربية مباشرة ، واتخذ بصدها قرارات . كما اتخذ قرارات اخرى هامة ذات طابع سياسي تتعلق بهجمات الاونيسكو على الصعيد الدولي في مكافحة الاستعمار والفاشية والصنصرية ، واسناد الحركات التحررية ، ومنها حركة التحرير الفلسطينية . واتخذ قرارا بادانة الارهاب الفاشي في تشيلي ، وقرارا بالاحتفال بالذكرى الثلاثين للانتصار على الفاشية في الحرب العالمية الثانية . كما ناقش المؤتمر القضايا الخاصة باقامة نظام اقتصادي دولي ودور الاونيسكو في ذلك حيث اسهمت بعض الوفود العربية اسهاما نشيطا في دحض الافكار والدعايات النهابية الامبريالية - الصهيونية ضد الاقطار العربية .

وبالإضافة الى القرارات السياسية العمومية (ذات الطابع الشامل) التي تمس هي الاخرى وبشكل او اخر قضايانا القومية ، فان هناك اربع مسائل اساسية اخرى كانت ذات صلة مباشرة بقضايانا القومية وبالصراع العربي - الاسرائيلي . ونعني :

١ - طلب دعوة منظمة التحرير الفلسطينية للمشاركة كعضو مراقب ، في أنشطة اليونسكو ومؤتمراتها .
٢ - ما يخص التعليم والثقافة في الاراضي العربية المحتلة .
٣ - حول استمرار الحفريات الاسرائيلية في مدينة القدس والامعان في تغيير معالمها وشخصيتها المميزة .

٤ - الطلب الاسرائيلي بالانضمام الى ممالك المجموعة الأوروبية في الاونيسكو كعضو اصيل ، للمشاركة في انشطتها بحقوق كاملة .
اما حول قبول منظمة التحرير الفلسطينية فقد اوصت بذلك دورة المجلس التنفيذي للاونيسكو التي سبقت مباشرة انعقاد المؤتمر (دورة ايلول ١٩٧٤) برغم المعارضة الاميركية وامتناع السندول الغربية . وكانت التوصية تعني ان الطريق اصبح مهيدا لكي يصادق المؤتمر عليها ، وهو ما تم بالفعل في الفترة الاولى من اعمال المؤتمر . وبالطبع فقد انطلق الصراخ النهويشي الاسرائيلي على اثر قرار الموافقة ، مدعوما بالوفد الاميركي . وبتخاذ القرار المذكور فان الاونيسكوسجلت لنفسها شرف المبادرة قبل قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة الى قبول منظمة التحرير للمساهمة في أنشطة اليونسكو ومؤتمراتها ، ولما كان القراران حول مسألة القدس وحول الطلب الصهيوني بالانضمام الى المجموعة الأوروبية قد اتارا اكبر قدر من السمار الامبريالي الصهيوني فسوف نركز عليهما في هذا المجال .

- ٣ -

قضية القدس

ان اصل مشكلة القدس هو اغتصابها بقوة السلاح الصهيوني وفرض الاحتلال العسكري عليها ، الشطر الاول على اثر قيام الكيان الاسرائيلي والشطر الاخر على اثر كارثة حرب ١٩٦٧ ، وهو الذي يدعى بالشطر العربي ، بينما الشطران هما في واقع الحال عريبان . ومعلوم ان هيئة الامم المتحدة لم تعترف بالاحتلال العسكري الصهيوني لمدينة القدس . ومنذ الاحتلال الثاني لعام ١٩٦٧ اخذت سلطات الاحتلال تتخذ الاجراءات العملية لتنفيذ خطة لتحويل القدس كلها ، وذلك باجراء الحفريات فيها ، وتغيير معالمها التاريخية والثقافية المتميزة وتحويلها الى مدينة يهودية « عصرية » كاية مدينة اسرائيلية اخرى .

وقد اتخذت الامم المتحدة ومجلس الامن اعتبارا من تموز (يوليو) ١٩٦٧ قرارات متعددة ومتتالية تدين هذه الاجراءات وتدعو حكومة الكيان الصهيوني لالامتناع عنها . وفي الدورة الخامسة عشرة للاونيسكو

لعام ١٩٦٨ ، جرى اتخاذ قرارات مماثلة وجدت توكيدها اللاحق في قرارات دورات المجلس التنفيذي ، ثم الدورة السابعة عشرة للمؤتمر العام (١٩٧٢) وجميع هذه اتقرارات كانت تدين موقف العدو الاسرائيلي واجراءاته ، وتدعو للكف الفوري عنها بسبب خرقها لبند اتفاقية لاهاي لعام ١٩٥٤ حول حماية الممتلكات الثقافية في حالة قيام نزاع مسلح . وقد استغل العدو الصهيوني وحماته واعوانه الطابع الفضاخ لبعض بنود الاتفاقية المذكورة لتبرير اجراءات الحفر والتغيير وعرضها بوصفها « تحسينا » او « تطورا » و « تعميرا » والحال ان هناك تفسيرين لهذه البنود ، التفسير الاستعماري ، الصنوي ، الذي تأخذ به السلطات الصهيونية ، والتفسير السليم الذي قامت على اساسه قرارات الاونيسكو وهيئة الامم المتحدة بهذا الصدد ، وهي قرارات صريحة واضحة وقاطعة ، وتدعو الكيان الصهيوني الى الكف على الفور عن القيام باية حفريات وتغييرات في مدينة القدس مهما كان شكلها ومهما كانت المبررات والحجج المقدمة .

وكان انصار العدو داخل جلسات المجلس التنفيذي للاونيسكو ومؤتمراتها العامة ينجرون في كل مرة لتخفيف نبرة القرارات المتخذة ، واعتبار مجرد كلمة « ادانة » « خروجا » من الاونيسكو عن واجباتها ، وفرض نفسها « محكمة » لا يمكن ان تجد سندا من دستورها ! وقد قرر المجلس التنفيذي في دورته الرابعة والتسعين وبأكثرية الاصوات احالة الموضوع كله الى المؤتمر العام الثامن عشر لبت فيه بعد ان استنفدت عبارات « الشجب » و « التانيب » و « الادانة » اغراضها ، ولم ترد سلطات الاغتصاب الصهيوني الا اصرارا على الاستهتار بالري العام الدولي والتمرد على قرارات الهيئات الدولية .

وقد تدارس المندوبون الدائمون العرب لدى الاونيسكو الامر قبل المؤتمر ، واتفقوا على صيغة لمشروع قرار ، طرحها للمناقشة على عدد من الوفود الصديقة من اشتراكية واسلامية وافريقية ، وانتهت حصيلة المناقشات التمهيدية الواسعة هذه الى الاتفاق على مشروع قرار يمثل الحد الأدنى مما يجب ان تقبل به الدول العربية ، ووقعت على المشروع المذكور سبع واربعون دولة عضو في الاونيسكو . والمشروع اذ يؤكد على جميع القرارات الدولية بشأن القدس واذا يدين اسرائيل « لوقوفها المناقض للاهداف التي تتوخاها المنظمة كما وردت في ميثاقها التأسيسي وباستمرارها في تغيير معالم مدينة القدس التاريخية وفي اجراء الحفريات التي تشكل خطرا على آثارها ، وذلك عقب احتلالها غير الشرعي لهذه المدينة . » ، فانه (اي المشروع) يدعو في فقرته الاجرائية الثالثة المدير العام الى :

« عدم تقديم اي عون في ميادين التربية والعلم والثقافة السى اسرائيل ، وذلك الى ان تحترم بدقة القرارات المشار اليها آنفا .

ونقول انه مشروع للحد الأدنى ، لان دولة عدوانية مقتصبة كاسرائيل لا تستحق اساسا شرف عضوية الاونيسكو وهيئة الامم المتحدة ، كما ويجب ان تجابه بمقاطعة دولية شاملة في جميع الميادين .

ومنذ الايام الاولى للمؤتمر الثامن عشر أخذ يتضح اكثر فاكثر ان الفقرة الثالثة من المشروع ستكون محسور صراع دبلوماسي وسيكولوجي مرير ، لان الولايات المتحدة الاميركية عازمت على منيع اقرارها اما تتضمنه من عقوبات جزئية على اسرائيل ، وان مغزى تلك العقوبات ليس في حجم المساعدات الاونيسكوية التي ستقطع ، بل في المدلول السياسي البين للقرار والذي سيكون اول قرار من نوعه تتخذه هيئة دولية حكومية تجاه العدو الاسرائيلي .

ولما فشلت جهود الوفد الاميركي ووفود غربية اخرى لتعديل مشروع القرار قام وكيل وزارة الخارجية الاميركية لشؤون المنظمات

الدولية بزيارة مفاجئة للونسكو سبقتها تهديدات اميركية غير مباشرة بان اقرار المشروع سيؤدي الى ان تقطع الولايات المتحدة مساهمتها الاونيسكوبية التي تبلغ التربع ، وهذا يعني ، بالطبع ، ارباك الوضع المالي للمنظمة وتعقيده ، وتقليص مشاربها وانشطتها . وقد طلب المسؤول الاميركي المذكور مقابلة الوفود العربية في اجتماع خاص ، فاستجابت لطلبه وفود عديدة منها ، حيث جرى بين الجانبين نقاش طويل لم يسفر عن نتيجة .

وهنا بدل الاميركان نكتيكم فبدلا من التصدي المباشر والمكشوف ، اعزوا الى بعض الوفود الاخرى ولا سيما من بين بعض الافارقة ، للقيام بالدور ذاته (دور الضغط المركز من اجل تعديل مشروع القرار بما ينسف جوهره) . وقد درست اللجنة الثقافية للمؤتمر العام بعد تأجيلات تلفت النظر مشروع القرار ، وشهدت الجلسات المطولة مناقشات ومساجلات حادة . وكان أبرز ما يلفت النظر ان بعض المنويين الافارقة ، ولا سيما مندوب داهومي (محام ثري ومقيم بباريس) استخدموا كل ما في جعبتهم لعرقلة ومنع اقرار المشروع ، ولغرض تعديلات جوهرية عليه . وكانت نقطة الخطر في اللعبة هي محاولة شق التضامن العربي - الافريقي بتصوير القضية وكأنها موجهة ضد مصالح الدول الافريقية بل وضد السيد م - باو ، المرشح الافريقي لمنصب المدير العام . . . ولم تلعب هذه المحاولات الماكرة من دون تأثير . فقد اضطرت مجموعة الوفود العربية الى ان تدرس وتناقش مرة بعد اخرى ما اذا كان يجب ان تعدل القرار « لتراضية الافارقة » وفي كل مرة كانت تنتهي الى ضرورة عدم التفسير خصوصا والمشروع لم يعد عربيا بل وقعت عليه نول اخرى ، لم تطالب اية منها باجراء ايسر تعديل . . . وفي وسط الضغوط والمناورات ، كانت المجموعة العربية تشرع يبحث الامر مجددا ، لتنتهي الى القرار ذاته - وهكذا دواليك .

ومهما يكن ، فان الفرح في الامر ان المحصلة النهائية كانت في الاصرار على المشروع وعلى عدم تعديله بأي شكل من الاشكال . وقد حصل المشروع في اللجنة الثقافية على اقلية ٤٥ صوتا وامتناع ٢٥ صوتا ومعارضة ٢١ صوتا : الولايات المتحدة والدول الغربية وعدد من دول اميركا اللاتينية مثل كوستاريكا وهندوراس والاكوادور . . . وفي ٢٠ نوفمبر ١٩٧٤ ، وبعد مناورات وضغوط مكثفة جديدة ناقشت الجلسة العامة توصية اللجنة الثقافية ، فافرت باغلبية ٦٤ صوتا ومعارضة ٢٧ وامتناع ٢٦ .

وسواء في مناقشات اللجنة الثقافية او الجلسة العامة ، فان وفودا صهيونية عديدة تجملت تحت اسماء شتى لتأخذ حق الكلام ، ولتحاول التأثير على مجرى المناقشات . غير ان محاولاتها باءت بالفشل وقد لقيت اباطيل حججها ردودا علمية مفحمة من جانب بعض المنويين العرب . فقد بين هؤلاء ان المسألة ليست مسألة دينية ، او فضية « حرب ضد اليهودية » كما ادعى المنويون الصهاينة ، بل انها فضية اغتصاب بالقوة لاراضي الاخرين ، واستهتار بارادة الرأي العام الدولي والقرارات الدولية ، وان الكيان الاسرائيلي هو الذي يمارس اخر طبعات « اللاسامية » الموجهة ضد العرب (وهم ايضا ساميون) . اما التلاعب بقضية ضحايا اليهود في الحرب العالمية الثانية فهو مفضوح ، لان تلك الجرائم لم تقترف في الاقطار العربية حيث عاش اليهود والعرب باسنان ، ولان الامة العربية قد شعبت وتشجبت تلك الجرائم النازية وامثالها . ثم ان الاعلام الصهيوني يتناسى من عمد ان ضحايا الفاشية خلال الحرب كانوا اكثر من خمسين مليونا (١٥) من البشر وليس الخمسة او الستة ملايين يهودي وحسب . ثم ان الفاشية هي عقلية ونظام وممارسة ، وان اسرائيل تمثل الطبقة الجديدة

(١٥) عارض الوفد الاسرائيلي القرار الخاص باحياء ذكرى الانتصار على الفاشية في الحرب الثانية ، مما يفضح اكثر حقيقة الموقف الصهيوني .

لفاشية ما بعد الحرب العالمية الثانية ، فهي ايضا دولة اعتدائية ، وتقوم على اساس عقلية النفوق والتمييز العنصريين ، وتسعى لاسادة الشعب الفلسطيني ومحو شخصية فلسطين . واخيرا فان الصهيونية لا تستطيع ان تدعي تمثيل جميع يهود العالم لان هناك فئات من اليهود وشخصيات بارزة منهم معادية للصهيونية ، من امثال العالم انشتين وغيره . اما الادعاء بان اتخاذ مثل هذا القرار « يضعف » الاونيسكو ، فان الذي يضعفها هو التمرد على قرارها ، وتحدي ميثاقها ، وان الاونيسكو لا يمكن ان تظل الى اناهاية غير مكرثة للموقف الاسرائيلي المستهتر اذا كانت المنظمة حريصة على فرض احترام كلمتها وادائها .

لقد كان اتخاذ القرار نجاحا دبلوماسيا ومعنويا ممتازا للحق العربي ، وليثاق الاونيسكو الانساني الحضاري والثقافي ، فضلا عن انه شق طريق المبادرة امام الامم المتحدة نفسها لاتخاذ قرارات مماثلة . وقد كان لوحدة الموقف العربي (برغم التضارب في وجهات النظر) ولاسناد الدول الصديقة ونبات موقفها اثر حاسم في هذا النجاح . وكما رأينا ، فان هذا النجاح قد جاء بعد سلسلة طويلة من المناورات والضغوط ، وقد نظم الصهاينة الفرنسيون قبل الجلسة العامة الخاصة بظاهرة استفزازية وقحة امام مبنى المؤتمرات ، شنوا خلالها اركان الحكومة الفرنسية . كما ان المدر العام السابق (رينيه ماو) قد انضم الى الحجة الصهيونية بنشره في لوموند وقبل ساعة واحدة فقط من افتتاح الجلسة العامة الحاسمة مقالا مائلا بالسمم للتشكيك بمشروع القرار العربي والتحذير منه . وكان هذا موقفا غير مسؤول اثار سخط اكثرية الوفود ، وطالب بعضها باتخاذ قرار بادانته علما بان المومي اليه تحاشى حضور جلسات اللجنة الثقافية أثناء المناقشات بحجة المرض !

- ٤ -

اسرائيل والمجموعة الاونيسكوبية الاوربية

في الاونيسكو مجموعات خمس لانتخابات المجلس التنفيذي ، وهي المجموعة الاولى وتدخل فيها الولايات المتحدة واسرائيل ، والمجموعة الاشتراكية ، ومجموعة اميركا اللاتينية ، والمجموعة الاسيوية ثم المجموعة الخامسة وهي مجموعة افريقية - عربية مشتركة . والى جانب هذا التقسيم ثمة تقسيم جغرافي - ثقافي من حيث أنشطة الاونيسكو من اجتماعات ومؤتمرات ومشاريع اقليمية . وكانت كل من الولايات المتحدة وكندا والكيان الاسرائيلي غير منتبئة الى اية مجموعة من هذه الجاميع ، برغم حقها في حضور اية اجتماعات او مؤتمرات اقليمية ، ولكن بصفة مراقب لا كاعضاء اصلاء . وكانت الولايات المتحدة وكندا قد طالبتا منذ الدورة السابقة بالانتماء الى المجموعة الاوربية ، كما طالب الاتحاد السوفياتي بالانضمام الى كل من المجموعتين الاوربية والاسيوية معا باعتبار ان اراضيه متوزعة على القارتين ، وكذلك الامر ثقافيا . وقد ترك الامر للمجلس التنفيذي ، الذي اوصى بذلك باكثرية الاصوات . والواقع ان الامر كله اتخذ طابعا سياسيا في الجوهر . فقد عارضت فرنسا بشدة انضمام الولايات المتحدة الى المجموعة الاوربية وتدخلت مسبقا لدى الدول الاخرى ومنها الدول العربية لتأييد موقفها بهذا الشأن . كما ان الصين الشمية تعارض ، كما هو معروف - طلب السوفيت بالمساهمة بالانشطة الاسيوية مهما كانت طبيعتها . ولذلك فقد كان واضحا ان القضية ستكون موضع مجادلات حادة ومناورات وضغوط مختلفة عند بحثها في المؤتمر العام الثامن عشر وكان بدنيا ان القضية تستمع اكثر سخونة بعد ان تقدم الوفد الاسرائيلي بطلب تعديل لتوصية المجلس التنفيذي يقضي بالموافقة على قبول الكيان الصهيوني ضمن المجموعة الاوربية . وقد شهدت جلسات اللجنة الخامسة المنبثقة عن المؤتمر العام مناقشات ومجادلات حامية جدا حول الموضوع برمته . وقد ايد الجانب العربي موقف فرنسا بعدم قبول الولايات المتحدة في المجموعة الاوربية ، وكان هذا ايضا بفعل التأييد الاميركي المستمر

لإسرائيل . كما أبدت الوفود العربية (بعد اتفاق مسبق) المطالبة السوفياتية مع الحرص التام على شرح الموقف العربي للوفد الصيني الصديق . أما بالنسبة للطلب الإسرائيلي ، فقد رفض باكثرية الاصوات . وهذا مما أثار الحركة الصهيونية المسعورة في فرنسا التي بادرت الى تنظيم اعتداء استفزازي جبان على مقر الوفود بالاونيسكو ، كما شرعت اكثر الصحف الفرنسية (والغربية الاخرى) التي اعماها الحقد الصهيوني على العرب ، والمؤالة للصهيونية الى تشويه اخبار المؤتمر وفهراته والمبالغة والتحويل بتصوير الامر وكأنه يعني « طرد اسرائيل من الاونيسكو » .

وبالطبع فان التوصية لا تضي ذلك رغم ان طرد اسرائيل هو امر مشروع لكونها لا تلتزم بميثاق الاونيسكو وقراراتها .

وقد بحثت الجلسة العامة يوم ٢١ نوفمبر ١٩٧٤ توصية اللجنة الخامسة بهذا الصدد ، ووضع الاقتراح الإسرائيلي في التصويت فسقط مجدداً . وقد أبدته الولايات المتحدة والدول القريبة (ما عدا فرنسا التي سبق وعارضت الطلب الاميركي على اساس عدم انتماء الولايات المتحدة الى اوروبا جغرافياً) كما أبدته دول من اميركا اللاتينية مثل نيكاراغوا وبناما والبراغواي والاورغواي .

وبرغم ان الاكثرية التي اسقطت الاقتراح الإسرائيلي لم تكن كبيرة (فاب عدد كبير من الوفود عن الجلسة فان نتيجة الاقتراح كانت صدمة ادبية ومعنوية بليغة للكيان الصهيوني ولحامته وانصاره . فقد حاولت اسرائيل (والحركة الصهيونية الدولية) دانما عرض نفسها اصمام الاوربيين كجزء لا يتجزأ ثقافياً وحضارياً (وبالتالي سياسياً) منهم وان تقدم نفسها للعالم بصورة (المدنية المتقدمة) في رفعة من العالم تسودها الجهالة والتأخر بل والوحشية هي رفعة الوطن العربي .

ومن هنا سر السعار الصهيوني المحوم على قرار الاونيسكو هذا .

- ٥ -

قرارات المؤتمر دولياً وعربياً

ان القرارات السياسية التي اتخذتها الاونيسكو ، سواء تلك التي تخص اداة العدو الصهيوني ومعايسته جزئياً ، او التي تخص قضائياً الكفاح ضد الاستعمار والعنصرية والفاشية ، قد اتسارت حملة معادية مركزة من جانب النواتر الامبريالية والحركة الصهيونية الدولية .

فالوا ، زادت القرارات المذكورة من عزلة اسرائيل دولياً . وثانياً ان هذه القرارات بمجموعها كانت تعبيراً حياً عن موازين القوى الدولية الجديدة في الاونيسكو ، وبرهاناً على ان هذه المنظمة لم تعد مجرد مسرح لما تدبره بعض الدول الغربية او تخطط له . . وعلى اثر اكثرية امس الاليسية ، الخاضعة للاهواء الاميركية ، نشأت اليوم اكثرية اخرى تعبر بشكل او اخر وبدرجة او اخرى ، عن التغيرات الدولية العميقة في ايماننا . . وهذه الحال لا يمكن ان لا تستفز الولايات المتحدة صاحبة المصهي الفيلظة ، والتي تريد ان تنصب من نفسها جندياً دولية لتقرر كما تشاء مصائر الكون .

وقد اتخذت الحملة الامبريالية الصهيونية ضد الاونيسكو اشكالاً واساليب عديدة في مقدمتها :

١ - الاعلام الصهيوني صاحب الذي تصدرته الصحافة الرجعية الفرنسية ، والذي سخر لاغراضه بعض الاسماء الادبية والفنية والثقافية التي لا نهتز ضمائرنا امام الجرائم الاسرائيلية الوحشية المتكررة ، والتنجيز الجماعي لعرب فلسطين واغتصاب وطنهم بقسوة السلاح .

٢ - مبادرة بعض الحكومات والبرلمانات الغربية الى قطع او تقليص المساهمات الاونيسكوية . فمجلس الشيوخ الاميركي اتخذ قراراً بقطع هذه المساهمة . ومجلس الشيوخ الفرنسي قاص المساهمة الفرنسية بمقدار ١٠ بالمئة اما حكومه سويسراً فقد قررت نهائياً تقليص مساهمتها بمقدار ١٠ بالمئة اما رئيس وزراء هولندا فقد وجه نداءً قريباً الى مدير عام الاونيسكو يطالبه فيها بالغاء قرارات المنظمة حول اسرائيل ، متناسياً انها قرارات اتخذتها اعلى هيئة دستورية في الاونيسكو وباكثرية الاصوات . وشان هولندا هنا شان الدول الغربية الاخرى التي نددت بقرارات اتخذت بالاساليب الديمقراطية ووفقاً لميثاق المنظمة وقواعد العمل فيها . وهي بذلك تبرهن على ان ترويتها حول « الديمقراطية » لا تخرج عن الدبلوماسية والبنف .

٣ - محاولة تنظيم حملة مفاضة ثقافية للاونيسكو ، ولكنها محاولة لا يمكن ان يكتب لها النجاح .

وواضح ان هذه الحملة المادية المركزة تركز على عمودين اساسيين :

١ - محاولة خلق الاونيسكو مالياً لحرفها عن الطريق واعادتها الى حظيرة حفنة من الدول الغربية .

٢ - وشع الاعلام الصهيوني للاساءة الى سمعة المنظمة ، وتشويه قراراتها وبشتيعها في اطار النرد العربي . وقد وجدت انصوبات مالية المحتملة اهتماماً جدياً لدى الدول الغربية ، ونعتقد ان مشاكل من هذا النوع ستجد حلولاً سليمة وناجحة . وقد اتخذ المجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة في اجتماعه الاخير في (ابو ظبي) توصيات تدعو الدول العربية القادرة مالياً الى تقديم فروض طويلة الاجل وبدون فوائد للاونيسكو والى المساهمة ايضاً في صندوقها المالي المسمى بصندوق الودائع للصرف على مشاريع مختارة في عدد من البلدان المتنامية المحتاجة . .

اما على الصعيد الاعلامي ، فان الاعلام العربي كان قاصراً ومقصراً جداً ، بينما كان الاعلام المعادي نشيطاً ، وفي خط يباني متصاعداً النشاط . فاجهزة الاعلام العربية (الا في نطاق ضيق هنا وهناك) لم تكلف نفسها بمتابعة ابناء المؤتمر الثامن عشر ، بل اكتفت بالاشارة المقتضبة والمنقطعة لها ، ونقلا عن مصادر غريبة لا يحلو لقلوبنا نقل الوقائع بأمانة وموضوعية . وقد ظل المثقفون العرب على موقف سلبي تجاه الحملة الاعلامية المعادية .

ولذلك فاننا نرحب تماماً بمبادرة مجلة (الاداب) ونأمل ان تكون فاتحة لمبادرات اخرى وحافزة للمثقفين العرب على ابلاد الامر ما يستحق من جهد واهتمام . .

باريس عزيز الحاج

المنسوب الدائم للجمهورية العراقية لدى الاونيسكو

مكتبة النوري

دمشق - تجاه البريد العام

وكيلة منشورات طار الآداب وكبرى
دور النشر اللبنانية والعربية في
القطر السوري .